

أوراق
البدائل

العركة الانتقالية والسياقه الثقافي

[الدين والنحول الديمقراطي]

يوسف صلاح

باحث وناشط سياسي



منتدى البدائل العربي للدراسات
Arab Forum for Alternatives

منتدى البدائل العربي للدراسات (A.F.A)

العنوان: شقة ٤، الطابق الرابع، ٥ شارع المساحة، الدقي، القاهرة (ج.م.ع)

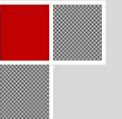
Website: www.afaegypt.org

Mail: info@afaegypt.org

Telefax: +202-37629937

Twitter: AFAalternatives

Facebook : <https://www.facebook.com/AFAalternatives>



العركة الانتقالية والسياق الثقافي

[الدين والنحول الديمقراطي]

يوسف صلاح

باحث وناشط سياسي

منتدى البدائل العربي للدراسات (AFA): مؤسسة بحثية تأسست عام ٢٠٠٨ وتسعى لتكريس قيم التفكير العلمي في المجتمعات العربية، وتعمل على معالجة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إطار التقاليد والقواعد العلمية بربط البعدين الأكاديمي والميداني.

ويعمل المنتدى على توفير مساحة لتفاعل الخبراء والنشطاء والباحثين المهتمين بقضايا الإصلاح في المنطقة العربية، تحكمها القواعد العلمية واحترام التنوع، كما يحرص على تقديم البدائل السياسية والاجتماعية الممكنة، وليس فقط المأمولة لصانع القرار وللنخب السياسية المختلفة ومنظمات المجتمع المدني، في إطار احترام قيم العدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان.

ومن أجل ذلك يسعى المنتدى لتنمية آليات للتفاعل مع المؤسسات المحلية والإقليمية والدولية المهتمة بمجالات التغيير والإصلاح. ويرتكز المنتدى في عمله في هذه المرحلة على ثلاثة محاور: تحليل السياسات والمؤسسات العامة، المراحل الانتقالية والتحول الديمقراطي، الحركات الاجتماعية والمجتمع المدني.

ويتخذ المنتدى لتنفيذ تلك الآليات والأهداف شكلا قانونيا متمثل في شركة ذات مسئولية محدودة (س.ت ٣٠٧٤٣)

هذه الأوراق تصدر بصفة غير دورية

وهي نتاج سيمنار داخلي ولا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى البدائل العربي للدراسات

قائمة محتويات

| | |
|---|----------------------------------|
| ٣ | مقدمة |
| ٣ | الإسلاميون قبل الثورة: |
| ٤ | الإسلاميون والثورة: |
| ٤ | الإسلاميون بعد الثورة: |
| ٦ | التحديات: |
| ٧ | التوصيات: |



نشر وتوزيع



رقم الإيداع: ١٨٦١٨ / ٢٠١٢

+2 01222235071

rwafead@gmail.com

www.rwafead.com

مقدمة

من الصعب جدا وغير العادل مقارنة دور الدين في عملية التحول الديمقراطي في بولندا بدوره في ثورة الخامس والعشرين من يناير في مصر، فالتجربة البولندية من الناحية الدينية تجربة ذات طابع خاص وفريد بداية من أن نسبة ٩٠% من شعبها يتبعون الكنيسة الكاثوليكية، تنصيب كاردينال كنيسة كراكوف كارول فويتيلا ليصبح بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني عام ١٩٧٨ دعم الصحوة الدينية في البلاد وخاصة إبان الحكم الشيوعي والذي كان من نتاج زيارته لبولندا ودعمه لحركة التضامن كبير الأثر في انهيار الشيوعية وخروج بولندا من تحت يدها وأصبح أيقونة بعدها للتحول الديمقراطي فبالرغم من كون بولندا دولة محافظة فلقد اشتركوا في الاتحاد الأوروبي بناء على دعوته.

يختلف الوضع المصري تمام الاختلاف عنه في بولندا فمن حيث التكوين نجد أن نسبة المسلمين تقريبا ما بين ٩٠% إلى ٩٤% ولكنهم منقسمين إلى ملل وطوائف وجماعات وقد يصل الانقسام إلى أن لكل طائفة شيخ يتبعونه ولا توجد أيقونة يمثل لكلامها أو يتوحد حولها الأغلبية المسلمة.

يطلق على المسلمين الممارسين للسياسة لقب الإسلاميين والذي في رأبي أنه خاطئ شكلا وموضوعا فهو يستخدم لتشويه أي رأي أو للتحقير من أو كل ما هو إسلامي في ووضعه في سلة واحدة ثم يوضع لهذه السلة بعض الأيقونات المتشددة أو الغبية أو التي لا علم لديها لتمثلها وبالتالي يصبح كل ما هو إسلامي مرفوض وهو ما نجح فيه الإعلام من خلق الإسلاموفوبيا لدى الناس وترهييبهم من كل ما هو إسلامي. وعادة ما يطلق هذا اللقب على الإخوان المسلمين والسلفيين بكل طوائفهم خصوصا كونهم الأبرز في العمل السياسي.

الإسلاميون قبل الثورة:

ينقسم الإسلاميين الفاعلين قبل الثورة إلى:

١- السلفيون:

- وهم فئة تغالي في المظهر (الفكر الوهابي) غير مرغوب بها في المجتمع. منقسمون داخليا لأكثر من ١٢ فرقة وكل فرقة تنقسم إلى مشايخ وتسير كل مجموعة منها خلف شيخها.
- موقفهم من السياسة في ظل النظام القديم: لم يشاركوا في العمل السياسي في ظل النظام القديم إيمانا منهم بإنها غير أخلاقية وأنهم لا يريدوا أن يتلوثوا بها كما تلوث الإخوان بها - على حد قولهم - وأنهم مهتمون ببناء أنفسهم والإعداد لليوم الذي سيمن الله لهم فيه ويورثهم الأرض.
- موقف النظام منهم: لم يمثلوا خطرا كبيرا على النظام لأنهم لم يكن لهم أي أطماع في السلطة وكانوا مؤمنين بجرمانية الخروج على الحاكم.. الخ. وبالتالي فلم يكونوا مصدر تهديد على الرغم من ذلك لم يسلموا من بطش النظام السابق في بعض الأحيان، ولكن على سبيل إغلاق المحاضر.

- وضعهم الاجتماعي: أغلبهم من الفئة الأقر في المجتمع. مهمشين في المجتمع وبالتالي انغلقتوا على أنفسهم تماما. تعتمد الإعلام تشويه صورتهم (الذقن والجلابية) وإخراجهم في صورة المشايخ والجهلة ليخلق منهم العدو أو الخطر الوهمي حتى يتسنى له فرض حالة الطوارئ وفرض الهيمنة على البلاد مما جعلهم أكثر انطوائية وظهور فئة منهم تكفر المجتمع.

٢- الإخوان المسلمون:

- والتي أسسها حسن البنا سنة ١٩٢٨م والتي طبقت لمواثيق الجماعة فإن "الإخوان المسلمين" يهدفون إلى إصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي من منظور إسلامي شامل.
- موقفهم من السياسة في ظل النظام القديم: لم ترق محاولات جماعة الإخوان المسلمين لأن يطلق عليها: ممارسة للسياسة فعليا في ظل النظام القديم، ولكنها كانت مجرد مسايسة للنظام من أجل البقاء ليس إلا. وبالتالي لم يكن لها دور أساسي في الحياة السياسية.
- موقف النظام منهم: كانوا بالنسبة له الخصم الأكبر خصوصا أن لديهم الميزة التي تميزهم عن السلفيين وهي ميزة التنظيم وهو ما كان يؤرق النظام السابق - وسيظل يؤرق أي نظام قادم - مما دفعه للتعامل معهم بوحشية بالسجن تارة وبالإعدامات تارة وبمصادرة الممتلكات والأموال تارة أخرى. ولكنه أبقى دائما على شعرة معاوية معهم.
- وضعهم الاجتماعي: ظلت جماعة الإخوان في ظل النظام السابق في التوغل في المجتمع المصري بشتى الوسائل بداية من الاهتمام بالمناطق الفقيرة مرورا بالرحلات والكشافة لطلبة المدارس ووصولهم لل نقابات وإدارة النوادي.. الخ. وكانوا يعتمدوا على ميزة أنهم مستضعفون وأنهم ضحية النظام السابق مما دفع الشعب الى التعاطف معهم علاوة على تقديمهم الخدمات والمساعدات للفقراء.

الإسلاميون والثورة:

تغير موقف الإسلاميين تجاه الثورة منذ الدعوة إليها عدة تغيرات، فمنذ بداية الدعوة إليها هوجمت من أغلب إن لم يكن كل التيارات الإسلامية - بما فيها الأزهر بالإضافة إلى الكنيسة- على درجات فمنهم من ادعى بأنها الفتنة ومنهم من وصل به الحال إلى تكفير من شاركوا بها. وهناك من غير رأيه وقرر المشاركة بعد عدم حصوله على مبتغاه من الحكومة. ومنهم من قرر المشاركة بعد أن تأكد بأن الغلبة ستكون للشعب وأنه لا مصلحة له في دعم النظام. بالإضافة إلى من تحولوا من أبنوا النظام القديم - علماء السلطان- ليتحولوا ويصبحوا أبنوا للحاكم العسكري.

الإسلاميون بعد الثورة:

تحول لسان معظم الإسلاميين الذين حرموا الثورة ومن هاجموا ومن لم يشاركوا فيها ليدعوا أن لهم الفضل ولولاهم ما نجحت.. الخ. ولا يخفى على أحد سيطرة الإسلاميين على كل ما به انتخابات وهو ما يمثل مفارقة كبرى أن يتولى زمام مرحلة ما بعد الثورة من لم يشارك بها ومن لم يؤمن بها يوما قط. أو من كفروا هؤلاء المشاركين بها ثم يتكلموا باسمها ويدعون أنهم حمايتها. ونجد من ذهبوا ليناووا مصالحا شخصية في ظل ضرب الشباب في الميدان في الأيام الأولى من الثورة أصبحوا نوابا لبرلمان الثورة بل وأصبح

المرحلة الانتقالية والسياق الثقافي (الدين والتحول الديمقراطي)

منهم رئيس البرلمان شخصيا وأن أئمة السلفيين الذين كفروا الشهداء وحجزوا لهم مقاعدهم في جهنم هم أيضا نواب برلمان الثورة وهو ما يعد قتلا ووئدا لهذه الثورة.

ومن المحزن والمخزي أن النواب الذين أخرجتهم الثورة من السجون ليصلوا إلى البرلمان هم من يجرمون الثوار ويتهمونهم بأنهم مأجورين ومدمنين في بعض الأحيان "في ظل برلمان الثورة".

ونظرا لقلّة خبرة الإسلاميين بكل فصائلهم في السياسة وخوفا منهم على مقاعدهم حاولوا وقف المد الثوري حتى لا يطأهم ويطالب بتغييرهم لعدم تبنيتهم مطالب الثوار وجدنا أنه بدأ في معاداة الثوار والصاق التهم بهم ونعتهم بالمخربين والموتورين.. الخ. مما كان يستخدمه النظام القديم في محاولة تشويه خصومه إضافة إلى محاولاته المتكررة في مدهانة العسكر على حساب الثورة والثوار للاستقرار به ومحاولة تبرير أخطائه على حساب الثوار كما في بيان شكر رئيس البرلمان للعسكري في الجلسة الأولى من برلمان الثورة التي كانت في أعقاب موقعة مجلس الوزراء والتي كانت تتنافى تماما مع كل تقاليد وأوامر الدين الإسلامي.

الإسلاميون والرؤية: لقد اعتبر الإسلاميون أن ما وصلوا إليه هو استخلاف الله لهم وأنه وعده الحق وبالتالي فإنهم مطالبون بتطبيق شرع الله - من وجهة نظرهم - والتي هم في الأصل مختلفون عليها وعلى طريقة تنفيذها وصار تطبيق الشريعة هو الغاية الأسمى والشغل الشاغل على حساب المصالح الحيوية واليومية والمسائل التي تلمس حاجة المواطن بصفة يومية (نائب المواقع الإباحية - نائب اللغة الإنجليزية - نائب مضاجعة الموتى.. الخ) حتى لا يستبدلهم الله.

الإسلاميون والتوافق: بات واضحا تماما عدم قدرة الإسلاميين على التوافق مع غيرهم بداية من جمعة تطبيق الشريعة، مروراً بتخليهم عن الأحداث الدموية في محمد محمود ومجلس الوزراء، مروراً بمنصة الاحتفال بذكرى الثورة في ظل سحق كل القوى السياسية، إضافة إلى نسبتهم في البرلمان والشورى والنوادي والنقابات الخ. فهم يرون أنها فرصتهم التي أتاحت لهم بعد عقود من الحرمان وبالتالي فهم من لهم الحق في رسم خريطة الطريق للفترة المقبلة؛ ومن ثم من يتفق مع وجهة نظرهم فهو مرحب به وليسوا على استعداد لسماع الآخر الذي في اعتقادهم أنه أخذ فرصته كاملة.

الإسلاميون ونظرية المؤامرة: يعيش الإسلاميون حالة من نظرية المؤامرة تجعلهم يفسرون أي اختلاف سياسي في الرأي على أنه محاربة للإسلام ومحاولة للنيل منه، وبالتالي فهم غير مستعدون للسماع من أي تيار أو فصيل لا ينتمي إليهم. مما يدفعهم في بعض الحالات بالتخلي عن أداء أدوارهم وواجباتهم السياسية خوفا من التورط في ما لا يعرفون عواقبه أو خوفا من الوقوع في الفتنة.

الإسلاميون وتدين السياسة: نظرا لجهل الإسلاميين بالكثير من المجالات وأنهم حديثي عهد بالسياسة والديمقراطية فصي كثير من الأحيان لا يجدون ما يفسرون به مواقفهم فيبدأوا باستخدام الآيات والأحاديث التي لا تمت بأي صلة للواقع ويبدأون في نشرها بين مؤيديهم علاوة على استخدام المنابر باسم الله ورسوله لدفع الناس لاختيارات معينة.

التحديات:

١. حمل البرلمان (الإسلامي) لتبني مطالب الثورة: وهو ما يمثل تحديا صعبا وشبه مستحيل. فكيف لمن لم يؤمن يوما بالثورة وجرمها وحرمتها أن يتبنى مبادئها، ولكنه تحد ضروري حتى تتواجد الأرضية المشتركة التي تربط بين شرعية البرلمان وقوة الميدان.
٢. قدرة الإسلاميين على إدارة البلاد: بعد حصد الإسلاميين لأغلب المقاعد في مجلس الشعب والشورى والنقابات والجامعات.. الخ، بالإضافة إلى رغبتهم في الرئاسة والمحليات فسيكون ذلك هو نفس سيناريو العودة إلى النظام القديم -الحزب الواحد- الذي يمسك بكل زمام الأمور ويتولى كل المناصب برؤيته المنفردة خصوصا مع تخوينهم لكل الأطراف الأخرى وانخراطهم في مسلسل نظرية المؤامرة واقصائهم للمخالفين لهم في الرأي وعدم وجود الكوادر المعدة لديهم لتحمل هذا العبء من المسؤوليات. (التجربة الإيرانية).
٣. الحفاظ على وسطية الدولة: في ظل انقسام الإسلاميين بينهم البعض وانقسامهم بين إخوان وسلفيين والذين هم الآخرين منقسمين داخليا فلن يجدوا ما يتمايزوا بينهم إلا الدين فسوف نرى مزايدات منهم على بعضهم البعض من أجل سحب البساط السياسي من بعضهم البعض كما وضح جليا من نائب الأذان وهو ما يمثل تحديا كبيرا في أن يهتموا بالمزايدة على بعضهم بالمظاهر وتحويل إلى دولة وهابية جل إهتمامها هو الشكل الخارجي.
٤. التطور والتواصل مع العالم الخارجي: في ظل وجود هذه الأغلبية الإسلامية المصابة بداء المؤامرة والتي لم تنفتح أغلبيتها حتى الآن على مجتمعها بعد أن عاشت لعقود طويلة في جحورها خوفا من بطش النظام أو في سجونها والتي لا زالت تنظر إلى العالم الخارجي على أنه دول الفرنجة وعلى أنهم الشر الأكبر ومطالبة البعض لعدم تدريس لغتهم - وهو ما يخالف تعاليم دينهم في الأساس - فكيف سيكون مستقبل التنمية وكيف سيكون شكل العلاقات الخارجية والتي هي غاية في الأهمية في فترة بناء مصر.
٥. أيقونات الإسلاميين: وهي من أكبر التحديات التي نواجهها حاليا ممن هم رموز أو متحدثين باسم الإسلام ومتبعون من فئة كبيرة من العامة من ولهم تأثير إيجابي على أتباعهم كما لهم تأثير سلبي أكبر بكثير على العامة (مسلمين وغير مسلمين).
٦. إحتكار الدين لتشويه المعارضين: وهو ما يحدث حاليا بشكل مروع من بعض الأفراد والكيانات من محاولة تشويه صورة من هم مختلفين معهم في الرأي بإنهم باعوا عهدهم مع الله لدرجة كبيرة تصل إلى تشبيه معارضيتهم بالخوراج أو الكفرة.. الخ.
٧. تحييد دور الإعلام: لا زال الجهاز الإعلامي الذي ظل طيلة العقود السابقة يشوه في صورة الإسلاميين يعمل بنفس الأسلوب بغض النظر عن مدهنته للإسلاميين في بعض الأحيان من باب النفاق أو من باب مجاملة جماعة أو فئة. وبالتالي اتجه الإسلاميون لعمل إعلامهم الخاص والذي يهاجم هو الآخر من هم مخالفين له في الرأي ويتهم أيضا بالعمالة والخيانة ومحاولة تدمير البلاد.. الخ؛ مما جعل المجتمع ما بين مستقطب إلى الإعلام المضاد للإسلاميين أو إعلام الإسلاميين والكل لا يستمع للآخر.

التوصيات:

١- تطهير المؤسسة الدينية وتحديد دورها:

من الضروري جدا تطهير المؤسسات الدينية في مصر فلقد عملت لعقود على تطويع الشرع والدين لخدمة الحاكم وإضفاء الشرعية عليه، ومن المهم أيضا وضع دور للمؤسسة الدينية (الأزهر والكنيسة) وهو مقتصر على الأمور الدينية وتعليم الناس بأمور دينها وعدم التطرق للأمور السياسية على أن يكونوا المرجع الذي يتم إستشارتهما في الأمور التي تتعلق بالدين ويكونا الجهتين المعتمدتين من الدولة في الحصول على الرأي الديني حتى لا يستخدم كل فصيل من الإسلاميين الدين ويطوعه لتسيير مصالحه.

٢- فصل الدين عن السياسة:

وهو غير مقصود به المعنى الضيق، ولكن المقصود به:

- أ- عدم استخدام الشعارات الدينية الرنانة والجذابة لتلبس الحق بالباطل واستغلال جهل الناس في تزييف الحقائق باسم الدين لتوجيههم لاختيارات بعينها.
- ب- ممارسة رجال الدين للسياسة بشخصياتهم وليس بصفاتهم. فعلى من يرغب في التحدث منهم في السياسة أو ممارستها أن يخلع الزي الديني وأن يخلع لقبه حتى لا يكون فعله أو قوله أذانا منه بأن هذا هو رأي الدين (الشيخ عماد عفت).
- ج- عدم استخدام المساجد والكنائس لنشر فكر سياسي، فليس من حق كل إمام جامع أن يتكلم في السياسة على المنبر طبقا لتوجهه أو لا تستخدم العظة في الكنيسة لشحن رأي سياسي معين، وأن يقتصر دورهما على التوعية والدعوة فقط.

٣- تكوين دائرة الوسط:

في ظل من نمربه من حالة استقطاب شديدة من الطرفين ما بين ما هو إسلامي أو غير إسلامي (ليبرالي، علماني.. الخ) نجد أن أغلب المصريين بطبيعتهم ليسوا متعصبين لفئة ووسطيين. وبالتالي يجب استغلال هذه الكتلة في مواجهة وصول مصر لدرجة من التشدد أو المغالاة في أي اتجاه واستغلال هذه الكتلة في الضغط على الطرفين للوصول لأحسن صورة لمستقبل كل المصريين.

٤- دعم الإسلاميين للتوصل إلى توافق بينهم:

من أكبر الميزات التي أنجحت التحول الديمقراطي أن ٩٠٪ من سكان مصر المسيحيين من طائفة واحدة ويتبعون الكنيسة لما كان له بالغ الأثر في سهولة اتفاهم على كلمة واحدة والالتفاف حول رأي واحد، فما نمربه حاليا من عدم توصل لأي اتفاه مع القوى الإسلامية لكثرتها ولما بينهم من خلافات فكرية وسياسية وظاهرية له بالغ الأثر السلبي في إفشال أي محاولة للتوافق بما ينعكس سلبا على صعوبة بناء مصر الجديدة دون إقصاء.

٥- احتواء التيارات الدينية بدلا من مهاجمتها:

إن ما وصل إليه الإسلاميين من تشدد وصعوبة في الانفتاح على المجتمع إنما هو نتيجة إنغلاقهم على أنفسهم لعقود في ظل النظام السابق، وبالتالي يجب على كل التيارات إحتوائهم والتعامل معهم والتوصل لاتفاقات وسطية خصوصا مع وجود بعض التجارب الناجحة جدا للإسلاميين الذين انفتحوا بسرعة وتعاملوا بسياسة بالغة وناضجة في أقل من سنة.

٦- تقنين أوضاع الجماعات:

لا زالت فكرة وجود جماعات (إسلامية - غير إسلامية) داخل المجتمع بشكل غير قانوني مصدر تهديد للتوافق خصوصا أنه لا كيان رسمي لها. أما عن الجماعات الإسلامية ففكرة وجودها داخل المجتمع الإسلامي وما لها من ولاء لدى أفرادها يفوق ولائهم لأوطانهم. وفكرة ممارستها للسياسة تحت شعار الإسلام لهو خطر فادح. علاوة على فكرة أن من يخالف الجماعة الدعوية في أمر سياسي فهو خائن لله وللعهد قد يقود مصر في الفترة المقبلة لتكرار سيناريو عصور الظلام!!

٧- إعادة ضخ دماء جديدة داخل المؤسسات:

لا زال النظام القديم متوغل في كل المؤسسات المصرية كما كنا في سيطرة من هم في أرزل العمر على كل المناصب وبالتالي فهم غير مواكبين للتطور المذهل الذي نعيش فيه. علاوة على إنخراطهم في تصفية حسابات قديمة بينهم وبين باقي التيارات منذ النظام القديم محاولين توريث خلافاتهم الشخصية للشباب ليستكملوها. وبالتالي صار لزاما البدء في الدفع بالشباب لإدارة المؤسسات بإشراف من أصحاب الخبرة كاستشاريين أو كحكام خصوصا في ظل الانفتاح الذي يعيشه الشباب قدرته على التعامل مع التيارات الأخرى دون حساسيات.

٨- الاهتمام بنشر الثقافة السياسية للعامة:

لا بد من البدء في نشر الثقافة السياسية للعامة بصورة مبسطة وسلسلة وإرساء فكرة الفرق بين البرنامج السياسي والخدمة العامة. وبين الإدارة السياسية والنصح لله خصوصا في ظل مجتمع يعاني قرابة ٤٠% منه من الأمية ولا يعرفون إلا من يسدي لهم الخدمات ويحثهم لما يريد بلطف.